

الهوية والتصادم الثقافي في رواية الرغبة  
لريتشارد فلاناغان

**Identity and Cultural Clash in Richard Flanagan's  
Novel the Living Secret of Desire**

م. د. وجدان كمال نجم

**Instructor. Wijdan Kamal Najm, Ph**

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م



### الملخص:

صدرت رواية الرغبة للكاتب الأسترالي (ريتشارد فلاناغان) عام ٢٠٠٨م، وترجمت إلى العربية (حنان المسعودي) عام ٢٠١٨م، ذكرت الرواية تأثير الاستعمار على الهوية الأصلية، وتستعرض تطور العلاقات المعقدة بين المستعمرين من جهة وبين السكان الأصليين من جهة أخرى، ولاسيما عبر تجربة الفتاة التاسمانية ماثينا. ركزت الرواية على الصراعات والتوترات الثقافية الحاصلة بين عالمين مختلفين تماماً جمعهما مشروع استعماري بريطاني للهيمنة والسيطرة على تاسمانيا. وقعت أحداث الرواية في القرن التاسع عشر، وهو يُعد أوج عصر الاستعمار البريطاني الذي امتدت هيمنته على مساحات واسعة من العالم، الأمر الذي ولّد الكثير من التحديات والصراعات نتيجةً لأعمال الإبادة الجماعية، تمكن الكاتب من نقل الصراعات والتوترات التاريخية عبر سرده بأسلوب مجازي تنوع بين السردية والرمزية والاستعارة لتكون روايته محاولة لفهم التاريخ ونقده عبر بوابة التصادم الثقافي والهوية . الكلمات المفتاحية، التصادم الثقافي، تجليات الهوية، رواية الرغبة.

### Abstract

The novel *Desire* was published by the Australian writer Richard Flanagan in 2008, and translated by Hanan Al-Masoudi in 2018, The novel deals with colonialism on indigenous identity, and the development of complex relationships between the colonists on the one hand and the indigenous people on the other, especially through the experience of the Tasmanian girl Mathena. The novel focused on the conflicts and cultural tensions between two completely different worlds brought together by a British colonial project to dominate and control Tasmania. The novel takes place in the nineteenth century, which is considered the height of the era of British colonialism, whose dominance extended over vast areas of the world, which generated many challenges and conflicts as a result of acts of genocide, The writer was able to convey historical conflicts and tensions through his narrative in a metaphorical style that varied between narrative, symbolism and metaphor, so that his novel would be an attempt to understand and criticize history through the gateway of cultural collision and identity.

**Keywords:** cultural clash, identity manifestations, novel of desire.

## المقدمة:

تعد رواية الرغبة من الأعمال الأدبية المتميزة نظراً لحبكتها السردية التي ساهمت في تسليط الضوء على أحداث تاريخية واقعية شكلت منها مساراً سردياً معقداً يمزج بين التاريخ الواقعي والخيال ليتمكن من استعراض التوترات والتفاعلات الحاصلة بين المجتمعات المختلفة اختلافاً جذرياً في مرجعياتها الأيديولوجية وأدوات حياتها الأمر الذي ساهم في بناء منظومة ثقافية خاصة لكل مجتمع، فالمجتمع البريطاني يمثل منظومة استعمارية مهيمنة على منظومة السكان الأصليين المرتبطين بالأرض والتراث الذي يجمعهم .

الرواية استندت في هيكلها على شخصيات مثلت أوجها من الطموح البريطاني في القرن التاسع عشر رغبة مثل السير جون فرانكلين وزوجته السيدة جين فرانكلين اللذين انشغلا بمهمة استكشاف القطب الشمالي وما نجم عن هذه المهمة من تفاعلات وتوترات ثقافية مع السكان الأصليين .

في هذا البحث تسعى الباحثة للكشف عن موضوع التصادم الثقافي بين شخصيات مثلت مجتمعين متقاطعين ثقافياً واجتماعياً، شكلت هذه التقاطعات فجوات في أساليب الحياة وأيضاً في المفاهيم الإنسانية للوجود والحياة، كما كشف البحث عن آلية طمس الهوية الأصلية وكيفية تشكيل هوية جديدة بتأثير السلطة الاستعمارية المهيمنة على مفاهيم الانتماء والوطن كما ترسمها أحداث الرواية، حيث يضغط الكاتب في سرده على نقاط التوتر الناجمة جراء التباين الكبير بين الثقافتين في موضوع الرواية، فنجد تعارضاً قائماً بين البريطانيين من جهة، وبين السكان الأصليين من جهة أخرى.

تمثل الرواية وقفة إنسانية تتجلى فيها الرغبات والمخاوف في مزيج يساهم في ضياع وتشكيل هوية وتنظيم العلاقات مع الآخرين عبر الكشف عن الجوانب النفسية والاجتماعية التي ساهمت في إحداث التصادم الثقافي.

جاء البحث في ملخص ثم مقدمة عن البحث وملخص عن الكاتب وملخص عن الرواية ثم استعراض موجز لأبرز الدراسات المرتبطة بالتصادم الثقافي والهوية، وبعد هذا جاء البحث في ثلاثة مباحث: المبحث الأول عن مفاهيم في دراسة التصادم الثقافي، تناول تعريفات الرغبة والهوية، والهوية الثقافية في إطار التصادم الثقافي . أما المبحث الثاني: كان في تحليل الهيكل السردى للرواية ركزت فيه الباحثة على تحليل الشخصيات الفاعلة والمهمة في الرواية وتحليل الحوار الذي انقسم على قسمين، الأول حوار خارجي، والثاني حوار داخلي، وكيفية تجسيد الصدام الثقافي. أما المبحث الثالث فقد سلط الضوء على مفهوم الرمزية

في الرواية وكيفية توظيفها في الأحداث بما يخدم فكرة الهوية في الرواية، ثم جاءت الخاتمة والمصادر .

#### ملخص عن الكاتب:

ريتشارد فلاناغان روائي أسترالي ولد عام ١٩٦١ في لونسيستون، تاسمانيا، يُعد من أبرز الأدباء الأستراليين المعاصرين، تركزت أعماله على مفاهيم الاستعمار والهوية الثقافية . فاز ريتشارد بجائزة البوكر الذهبية عن رواية (الطريق الضيق لعمق الشمال)، له أيضاً رواية (الرغبة) صدرت عام ٢٠٠٨ مبنية على أساس التاريخ الاستعماري.

#### ملخص عن الرواية:

رواية الرغبة لريتشارد فلاناغان هي عمل أدبي مزج بين التاريخ والخيال، تروي الرواية قصة الفتاة ماثينا، وهي طفلة من السكان الأصليين في تاسمانيا، تم اختطافها وتربيتها في انكلترا من قبل السير جون وزوجته السيدة جين في إطار مشروع استعماري لتمدين السكان الأصليين، الرواية تتعامل مع صراع ماثينا بين هويتها الثقافية الأصلية والهوية الاستعمارية التي تُفرض عليها.

يستعرض الكاتب تأثير الرغبة على الأفراد، سواء كانت الرغبة في الشهرة، السيطرة أو التمدن، كما تناولت الرواية موضوعات معقدة مثل الهوية الثقافية، الاستعمار، السكان الأصليين، والتصادم الثقافي مظهرة كيف يمكن أن تلعب الرغبة دوراً محورياً لتحفيز القرارات والممارسات الاستعمارية، وفي المقابل تتجلى الرغبة في المقاومة لدى الشعوب المستعمرة كوسيلة للتعبير عن الرفض والسعي لاستعادة هويتهم واستقلالهم .

#### دراسات سابقة:

تُعد الدراسات السابقة مرجعية أساسية لفهم الإطارين النظري والمنهجي لأي موضوع بحثي، حيث توفر أساساً لتحديد الاتجاهات البحثية والمساهمات التي يمكن البناء عليها، وفيما يأتي قائمة بالدراسات ذات الصلة:

#### أ - العربية:

١- المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، د. عبد العزيز عتيق، دار المعارف للنشر . ١٩٦٥.

٢- النقدية العربية وخطاب النقد الثقافي، د. محمد مفتاح، دار المركز الثقافي العربي ٢٠٠٣.

٣- الأدب العربي السياسي في العصر الحديث، روايات وسير ذاتية ، د. فوزي عبد العزيز، دار الشروق للطباعة والنشر ٢٠١٨.

٤- الرواية والسياسة تأملات في الأدب العربي الحديث، د.خالد جاسم، دار الفكر للنشر والتوزيع ٢٠١٥.

#### ب - الأجنبية:

- 1- Culture and Politics in a global Age. David Held & Henriettal. Lutz. Polity press 2007.
- 2- The Politics of post colonialism, Empire nation and Resistance. Robert young 2001.
- 3- The Postcolonial Novel A critical introduction. Elleke Boehmer. Oxford university . Postcolonialism and the politics of the identity Ania Loomba, Routledge, 1998.

### المبحث الأول

#### مفاهيم في دراسة التصادم الثقافي

لفهم ماهية التصادم الثقافي وأبعاد هذا المفهوم كان لابد من الاطلاع على عدد من النتاجات الأدبية التي اتخذت من الصراعات الثقافية نواةً لمحتواها مثل رواية (موسم الهجرة إلى الشمال)<sup>(١)</sup>، للكاتب الطيب صالح، ورواية (لو كان لشارع بيل أن يتكلم)<sup>(٢)</sup>، للأمريكي جيمس بالدوين، ومن الكتب الفكرية كتاب (تكوين العقل العربي) (الجابري، ١٩٨٤) للدكتور محمد الجابري، إذ قدم في كتابه تحليلاً معمقاً عن العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى، وكيف تطور العقل الجمعي للعرب بعد الصراعات الفكرية.

كما كان للدكتور إدورد سعيد دوراً كبيراً في التصدي لموضوع التصادم الثقافي في كتابه (الاستشراق) (سعيد، ٢٠١٠) عبر تحليله للعلاقة بين الشرق والغرب، وكيف أن الغرب صاغ صورة نمطية عن الشرق على أنه عالم متخلف غير حضاري وغير قادر على التحضر لوحده دون يد مستعمرة تساعده على التطور الحضاري "إن الهيمنة الثقافية الغربية على

---

(١) موسم الهجرة إلى الشمال، رواية للكاتب الأفريقي العربي الطيب صالح ، نُشرت أولاً في مجلة حوار عام ١٩٦٦، ثم نشرتها دار العودة في بيروت في العام نفسه، تُرجمت إلى أكثر من لغة منها الانكليزية والروسية، تناولت الرواية التصادمات الثقافية بين الشرق والغرب.

(٢) لوكان لشارع بيل أن يتكلم ، رواية للكاتب الأمريكي جيمس بالدوين، صدرت عام ١٩٧٤ ترجمتها إلى العربية فيدا فوزي الخباز، منشورات وزارة الثقافة عام ٢٠١٠ ، تتمحور الرواية حول التمييز العنصري وانعدام العدالة في النظام القضائي الأمريكي.

حساب الهيمنة الثقافية العربية ساهمت بشكل فعال في تفعيل واستمرار التصادم الثقافي بين الشرق والغرب" (سعيد، ٢٠١٠، صفحة ٧٣).

كل ما سبق يوضح أن التصادم الثقافي ينشأ من عدة عوامل، منها الهيمنة الثقافية والهجرة والاستعمار، ولكي يحدث التصادم لابد من وجود مجتمعين مختلفين في أيديولوجيتهما الثقافية فيصور القوي منهما الضعيف بأنه مختلف وأن هذا الاختلاف هو سبب تخلف الأضعف، وهنا يبدأ القوي بفرض هيمنته عبر بوابات الأدب والفن والتعليم، فضلاً عن بوابة السلاح والقوة التي تمكن الأقوى من السيطرة على الأضعف، وملخص ما سبق فإن التصادم الثقافي هو أن ثقافتين مختلفتين تتفاعلان مما يؤدي إلى نشوء صراعات نتيجة التباين في القيم والمعتقدات، فضلاً عن الاختلاف في مستويات القوة والتأثير بينهما.

ومن الأمثلة على التصادم الثقافي في العصر الحديث آلة الاستعمار الأوربي في أفريقيا وآسيا في القرنين التاسع عشر والعشرين، كما مثلت قضية الحجاب في فرنسا صورة عن تطبيق سياستها العلمانية لمنع الرمز الديني في الأماكن العامة، وأيضاً الصراع بين السكان الأصليين والمستوطنين في أمريكا الشمالية بسبب الأنماط الحياتية الجديدة التي جاء بها المستوطن وفرض نظاماً اقتصادياً جديداً.

**الرغبة لغة:** الصراع والمسألة، وهي أيضاً الحرص على الشيء والطمع فيه، أما الرغبة عن الشيء فهي الزهد فيه (ابن منظور، ١٩٩٤، صفحة ر غ ب).

**الرغبة اصطلاحاً:** يعرفها الفرنسي جاك لاكان بأنها البحث المستمر عن الشيء المفقود أو غير المكتمل وهي مرتبطة بالسعي لتحقيق الإشباع الذي لا يمكن الوصول إليه بشكل كامل (لاكان، 1958).

**الهوية:** "عرفها المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية فلسفياً بأنها حقيقة الشيء، أو الشخص الذي تميزه من غيره وأيضاً البطاقة التي يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله تسمى البطاقة الشخصية" (عمر، ٢٠٠٨، صفحة هـ و ي)، وهي بهذا المعنى أشبه ما تكون بالشفرة الخاصة بالشيء التي لا تشبه أي شيء آخر .

أما مفهوم الهوية المرتبطة بالبعد الثقافي والاجتماعي فلم يظهر إلا في معاجم السياسة إذ "إنها تمثل التعبير عن أي تكتل بشري تسوده عادات وقيم تناسب وعي هذه الجماعة وإرادتها في الوجود للحفاظ على كيانه" (مجموعة باحثين، ٢٠٠٥، صفحة ١٤)، فالملاحم المشتركة للوعي بين الأفراد هي ما تجعل لهم وعيهم الجمعي الخاص وتضمن لهم وجوداً جماعياً، وهذا يعكس التطور الفكري السياسي والاجتماعي، إذ مثلت الهوية أحد أهم المفاهيم

في عالم السياسة، فعن طريق الهوية تتمكن الجماعات من إبراز إرادتها والحفاظ على استمراريتها، ولما كان الفرد قابل لاكتساب مهارات جديدة يمكن أن تعدل سلوكياته وتطورها، بمعنى أنها مفتوحة على التطورات المستقبلية، وغير ملزمة بالبقاء ساكنة، فيمكن أن لا يكون منسجماً مع الحاضر وتطوراته، إذن الهوية قابلة للتعديل والتطوير واكتساب سمات جديدة، بقدر استيعاب الأفراد للتجارب وتجاوبهم معها .

### الهوية الثقافية:

**الثقافة لغة:** هي تقويم ما أعوج من الرماح (ابن منظور، ١٩٩٤، مادة ث ق ف).

**الثقافة اصطلاحاً:** أن من أوائل من قدم تعريفاً قاراً للثقافة بصورة علمية هو مالك بن دينار<sup>(١)</sup>، إذ قال إنها "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه" (ابن نبي، ٢٠٠٠، صفحة ٧٤)، لتكون جزء من البنية النفسية للفرد بحيث تكون القيم الثقافية مرجعية أساسية لتشكيل أفكاره وتعاطيه مع المجتمع الذي بات معرضاً للمتغيرات باستمرار سواء مع التكنولوجيا أو الأحداث السياسية أو الأحداث الاجتماعية، فالهوية الثقافية إذاً متغيرة وليست من الثوابت.

### الهوية الثقافية والتصادم الثقافي في رواية الرغبة:

قد تواجه هوية ثقافية ما تصادماً ثقافياً مع هويات أخرى مما يلجأها أن تلتمس طريقاً للتكيف مع الثقافة المتصادمة معها أو أن تتبنى استراتيجية للمقاومة يتمثل بالتمسك بالهوية الثقافية الأم أو قد يشكل التصادم بؤرة تأثير وتأثر فعالة مما يؤدي إلى إعادة تشكيل الهوية الثقافية للفرد والمجتمع المتصادم كما يحصل في الهجرة، وربما يولد التصادم الثقافي تكاملاً اجتماعياً فيولد هوية مشتركة بين الثقافات المتصادمة .

أما في سياق الاستعمار وفرض الهيمنة على الآخر فإن العلاقة بين الهوية والثقافة تُشير إلى تفاعل الذات مع الانتاج الثقافي "الذي يحدث بوجود ذات مفكرة تسبق الموضوع الثقافي، أو قد تكون الأسبقية للموضوع على الذات" (الودغيري، ١٩٩٥، صفحة ٨٠)، فالفرد بما يحمله من ثقافة أو ثقافات يمثل منظومة تفاعلية من أربعة محاور (الماضي، الحاضر، الذات، الآخر) تضافرت لإنتاج هويته وهذا ما أبرزه ريتشارد فلاناغان كاتب رواية الرغبة،

(١) مالك بن الحاج عمر بن نبي، وُلِدَ في الجزائر عام ١٩٠٥، وهو من أعلام الفكر العربي وأحد رواد النهضة الفكرية في القرن العشرين، من مؤلفاته: شروط النهضة، مشكلة الثقافة (طرابيشي، ٢٠١٧، صفحة ٣٥).



إذ نجح في توظيف مفهوم الهوية الثقافية ضمن هيكلية السرد ليعكس تجارب شخصيات روايته وتحدياتهم مستكشفاً عناصر الثقافة والفكر لكل شخصية في روايته، فالشخصيات تنمو وتتطور لتحدث تصادماً ثقافياً يمنح القارئ تجربة يتجلى فيها عمق مأساة فقدان الهوية والعزلة بما يعكس تأثير الاستعمار على الفرد والمجتمع .

## المبحث الثاني

### التحليل الأدبي للرواية

#### أولاً: الشخصيات:

يمثل موضوع الشخصية الوسيلة التي تمكن الكاتب من التعبير عن وجهة نظره، أما في السياق الفني للسرد فهي القيمة التي يتهيكّل عليها كل عناصر السرد، فالشخصية تمثل تجسيدا لصراعات داخلية أو اجتماعية وثقافية وتصور الإنسان وتعيّيدات المجتمع من حوله، وفي رواية الرغبة نجد أن الشخصية فيها مزيج من الحقيقة والتمثيل، فـ"من أبرز سوء التفاهات التي أبعدت النقد عن تلمس حقيقة الشخصية الروائية هو ذلك الخلط الذي درج القراء والنقاد على إقامته بين الشخصية التخيلية كمكون روائي والشخصية بوصفها ذاتاً فردية أو جوهرًا سيكولوجيًا" (بحراوي، ٢٠٠٩، صفحة ٢٠)، فالشخصية تستخدم لتحقيق أهدافاً فنية وسردية محددة لا تنحصر في تعبيرات سيكولوجية، إذ يكون للخيال دوراً فعالاً في تشكيلها وخلق عوالمها، وهذا مطابق لما ذهب إليه رولان بارت من أن "الشخصية كائن من ورق تأتي عبر امتزاج الخيال الفني والخيال الروائي للكاتب فضلاً عن مخزونه الثقافي الذي يُتيح له أن يُضيف ويحذف ويبالغ ويضخم في تكوينها وتصويرها وهذا يجعلها غير مطابقة لشخصيات الواقع" (هامون، دون تاريخ، صفحة ١٢)، بل هي بناء تخيلي يسمح للكاتب بإضافة أبعاد جديدة وتضخيم مواقف أو مشاعر لخلق شخصية مركبة تعبر عن رؤى ومفاهيم أعمق مما نجدها في الواقع، وهذا الامتزاج بين الخيال ورؤية الكاتب ومخزونه الثقافي يمنحه مساحة حرية لتشكيل شخصياته وفق احتياجات النص بما يجعلها وسيلة لطرح الرؤى المراد معالجتها في الرواية ولهذا فإن الكاتب يزرع في شخصياته جوانب نفسية معقدة تمثل انعكاساً للصراعات النفسية سواء كانت متعلقة بالهوية أو بالرغبات المكبوتة أو الخوف .

تمثل الشخصية الروائية "فكرة من الأفكار الحوارية التي تدخل في تعارض دائم مع الشخصيات الرئيسية أو الثانوية" (علوش، ١٩٨٥، صفحة ١٢٦)، مما يعزز الصراع ويدفع بالأحداث نحو التطور، وهذا التعارض يساعد في إبراز التناقضات، وفيما يخص التقسيم النوعي للشخصيات الذي يشمل الشخصية الرئيسية والثانوية والنامية والساكنة، فيمكن لشخصية

واحدة أن تتمحور حول أكثر من نوع واحد، لأن الشخصيات الروائية غالباً ما تكون ذات أبعاد متعددة وتركيبية معقدة .

### أهم الشخصيات في الرواية:

الشخصية هي المحرك الفعال للأحداث، فهي مداد الأفكار والطروحات الأهم، وتمثل واسطة العقد في نسيج الرواية "فهي تصنع وتثبت أو تستقبل العقد في نسيج الرواية" فهي تصنع اللغة وتثبت أو تستقبل الحوار وهي التي تصف معظم المناظر" (مرتاض، ١٩٩٨، صفحة ٩١)، ويدور الصراع الأساس في فلكها، وترى الباحثة أن أهم شخصيات الرواية المؤثرة في سير الأحداث هي السير جون فرانكلين ومائينا والسيدة جين فرانكلين والكاتب تشالز ديكنز.

### ١- شخصية السير جون فرانكلين:

تمثلت شخصيته المحور الرئيس في الرواية التي تقاطعت مع أحداث الرواية سواء في سياقات السلطة والاستعمار أو في السياق الشخصي، فلولا رحلته لأرض الشمال لما تصاعدت الأحداث في الرواية .

يرى السير جون فرانكلين نفسه بأنه القائد الفذ القادر على استعمار الأرض وإخضاع شعبها لقيم مجتمعية إنكليزية يفخر هو بها، كما أنه تمثل الأبعاد المعقدة لشخصية المستعمر الإنكليزي، وجسد التعقيد السياسي المنصدم مع الواقع الاجتماعي الأمر الذي عزز تزايد الصراع النفسي الداخلي على الرغم مما يتميز به من ثبات انفعالي خارجي "شخصيته المحنكة وإرادته النبيلة والصلابة وقابليته المتميزة على القيادة ومساهمته البطولية والاستثنائية في استكشاف القطب، وتجسيده لكل الفضائل في الحضارة الإنكليزية، ولكن لم يُسمع عنه شيء أو عن رجاله المائة والتسعة والعشرين الذين أبحروا معه إلى منطقة القطب الشمالي قبل تسعة أعوام" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٢٦)، هذا الوصف هو تمثيل للسلطة والهيمنة والاستعلاء الذي يمارسه الاستعمار (المحنك، صاحب الإرادة، مساهمة بطولية، تجسيد الفضائل) كل هذه صفات أطلقتها زوجته عليه في وصفها له وهي صفات تجسد رؤية المستعمر لنفسه، لكن الكاتب يكسر كل هذه الصفات בזكاء حين يذكر فشل رحلته تاريخياً .

مثل السير جون فرانكلين الكذب والخداع الاستعماري فقد كشف عن طريق شخصيته زيف النظام الإنكليزي الاستعماري الذي ينتمي إليه في محاولاته لزرع وترسيخ فكرة أن الاستعمار مثالي في محاولاته مع المستعمرين "وعلى الرغم من زيارته للسكان المحليين على جزيرة فلاندرز... فهؤلاء السكان المحليين كانوا يمثلون فضولاً علمياً كالحمير الوحشية"

(فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٥٦)، هذا التناقض والتعقيد في شخصية السير جون افقده السيطرة على مجريات الرحلة والأحداث من حوله ليبدأ بالسقوط تدريجياً في دائرة الفشل العسكري والاستعماري، فرغبته في السيطرة على أرض الشمال ومحاولة تأطيره بإطار استعماري بحيث يفقده هويته ويشوه صورته ويُخفي ملامحها الأصلية ولا يمت بصلة إلى أرضه وقوانينه التي ورثها عن أجداده، لم تتحقق فقد ظلت هذه الأرض تقاوم متمسكة بخصوصيتها الثقافية وهويتها الأم لتكشف عجز الهيمنة الاستعمارية عن محو الوجود التاريخي والإنساني للشعوب الأصلية .

## ٢ - شخصية ماثينا:

هي طفلة يتيمة من السكان الأصليين يتبناها السير جون وزوجته في محاولة لتحقيق أسطورة التمدن الاستعماري الأبيض.

بناء شخصية ماثينا يمتاز بتعقيداته نتيجة التمدن القسري الذي تعرضت له، فقد ربط الكاتب بين شخصيتها وبين تسلط الاستعمار عن طريق استحضار النتائج المدمرة على حياتها، ففي محاولة السيدة جين من جعل ماثينا أنموذجاً للطفل المتحضر الفاقد لهويته الأصلية تم انتزاع ماثينا من بيئتها الاجتماعية والثقافية لتجد نفسها في عالم لا تنتمي إليه ولا تعرفه، الأمر الذي أدى إلى عيشها في حالة من الضياع وعدم الانتماء والشتات بين الهوية الأصلية والهوية الجديدة "لقد كانت أميرة الحاكم الأليفة، لكنها الآن فقدت بريقها" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٢١٨)، فالاستعمار لم إخضاعها قهراً بل امتد ليسلب جسدها، فمن جهة كانت السيدة جين فرانكلين تخضعها لمعاييرها الاجتماعية بعد إخضاعها لعمليات أيديولوجية لتكون انعكاساً لرغبة المستعمر في فرض هيمنته وطمس هوية صاحب الأرض الأصل خدمة لأغراض الاستعمار وتحقيقاً لأهدافه "لم نأتِ إلى هنا لخدمة المجتمع ولا الحضارة، بل أتينا من أجل ما يرغب به كل شخص غير مدان، النقود" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١٤١)، لذلك استمرت محاولات قولبة ماثينا في قالب غريب عنها، ولكن كل المحاولات كانت فاشلة بسبب تولد الصراع الداخلي الذي كانت تعيشه نتيجة القهر النفسي والجسدي الذي تعرضت له، فلقد تعرضت لتغيرات جسدية على يد السيدة جين مثل فرض نمط معين من الملابس والأحذية الأوروبية البعيدة عن بيئتها وثقافته الأصلية "سوف ترتدي الفستان وسوف ترتدي الأحذية وسوف تتمدن ... رضخت ماثينا تحت الإغراء والتهديد" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١١٢)، فالهدف من فرض الملابس الغربية هو فرض الهيمنة الاستعمارية عن طريق إعادة تشكيل الجسد وإخفاء أصوله الثقافية "سوف تُعامل كامرأة انكليزية حرة لأن ذلك جزء من تجربتي"

(فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١٤٥)، فالسيدة حين حاولت فرض رغبتها في رؤية المثال الغربي ممثلاً بشخصها أيقونة يتمثلها السكان الأصليون من دون الاكتراث بتشويه الهوية الأصلية من جانب آخر مثلت ماثينا المرأة المستضعفة نتيجة عيشها في عالم يهيمن عليه الرجل الأبيض ناظراً إليها ككائن بدائي وجسد بلا حماية، فتتعمق فكرة الاضطهاد الجندي والعنف الذي تواجهه، هذا الاضطهاد أساسه أنها أنثى من السكان الأصليين لذلك فهي مجرد جسد يمكن التلاعب به ضمن المشروع الاستعماري، هدفه تأكيد سلطة الرجل الأبيض على النساء والأرض، ولكن على الرغم من كل الضغوط فإن ماثينا تعيش لحظات مقاومة رمزية تعبر فيها عن شخصيتها وجذورها مثل تذكرها لرقصاتها الأصلية وارتباطها بحيوانها الأبوسوم وتأملها في الطبيعة مما يجعلها رمزاً للتمرد على الاستعمار وأنظمتها القمعية واستعارة لاستعصاء الهوية الإنسانية على القوالب الاستعمارية وإدانة كل محاولات طمس الثقافات الأصلية تحت شعار التمدن والتحضر.

لقد تم التعامل مع ماثينا على اعتبار أنها مادة خام للتجارب من دون أية عاطفة حقيقية تجاهها، بل أنها موضوع تجربة لمجتمع لا يأبه بالإنسانية بل يتجاهلها حد قتلها ليحقق رغبته الاستعمارية وللتأكيد على هذه الفكرة فقد وظّف الكاتب نهاية حياة ماثينا توظيفاً مأساوياً، إذ أشار عبر مشهد موتها إلى أن مجتمع الاستعمار البريطاني على الرغم من ادعائه المدنية والحضارة فهو يتجاهل مأساة الانفصال التي يتعرض لها السكان الأصليون في تاسمانيا "أنا لست بربرية، إنهم يزدروني، انتظر وسترى سأصبح سيدة عظيمة" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١٤٥) لكنها تموت مع حلمها، ليكشف موتها ضعفها وعدم حيلتها والزيف في كل ادعاءات الحرية والتمدن للمستعمر .

### ٣ - السيدة جين فرانكلين:

هي زوجة السير جون فرانكلين الحاكم البريطاني لتاسمانيا، وهي إحدى أهم الشخصيات في الرواية لما لها من دور فاعل في تحريك الأحداث ورسم الانطباعات عن المستعمر الانكليزي.

مثل قرار السيدة جين بتبني الطفلة ماثينا رؤية استعمارية تجد أن الثقافات الأخرى متخلفة وبحاجة إلى الإصلاح، وبهذا تكون مهمة السيدة جين مهمة حضارية، فإذا كان زوجها يمثل الجناح العسكري للاستعمار فإنها تمثل الجناح الثقافي له.

وعلى الرغم من نفوذها الاجتماعي إلا أنها لم تسلم من التهميش لكونها تعيش في عصر يقيد سلطة المرأة ويحد من طموحها في السياسة يتجلى التهميش في علاقتها مع زوجها إذ أنه

يشغل منصب الحاكم الرسمي المرموق، إلا أنه ضعيف إدارياً وسياسياً الأمر الذي يضطرها للتدخل في شؤون الحكم واتخاذ القرارات باسم زوجها مما يشعرها بتناقضات مجتمعها في شخصها ذاته، فهي من باب تشعر بالقمع مع زوجها ومجتمعها الانكليزي ومن جهة تمارس القمع على السكان الأصليين لتاسمانيا لتعوض الشعور بالعجز في مواجهة السلطة الذكورية في مجتمعها "السيدة جين ترى أن بلادة زوجها تبدو كالفحم وستكون جيدة لو تمكنت من إحراقها لتغذية شيء أكثر عمقاً" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٣١)، فكل طموحاتها تصطدم بالقيود الجندرية في ظل الأعراف الفيكتورية مما يضاعف شعورها بالخيبة والعزل تظهر أحداث الرواية حقيقة أن المشروع الاستعماري ليس مشروعاً سياسياً أو اقتصادياً فحسب، بل هو مشروع ثقافي يرمي لإعادة تشكيل الهويات ويدمرها باسم التمدن والتحضر، مثلت السيدة جين الجانب الثقافي لهذا المشروع، لكنه وعلى الرغم من كل المحاولات والامكانيات المتاحة فإنه يفشل الأمر الذي ساعد على بقاء السيدة جين كشخصية مأساوية تجسد هزيمة الاستعمار الإنكليزي .

#### ٤ - تشالز ديكنز:

كاتب انكليزي ١٨١٢-١٨٧٠، سلطت أعماله الضوء على القضايا الاجتماعية، من أشهر أعماله أوليفر تويست، وفي رواية الرغبة قدمه الكاتب كجزء من الهيكل السردي، فهو مؤلف يعاني من صراعات داخلية أخلاقية واجتماعية تتمحور بين رغبته في الشهرة وبين طموحه في أن يصبح كاتباً مرموقاً من جهة أخرى، لذا فهو ضحية للصراع بين أدبياته من جهة ورغباته من جهة أخرى "رغم أن ديكنز كان يرى نفسه ممثلاً أكثر منه كاتباً، إلا أن هذا التصور بدا بعيداً عن المنطق، ومع هذا كان ذلك جزءاً من شخصيته" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١٠٠).

يعد كاتب الرواية أن تشالز ديكنز ممثل ، وهذا مؤشر على صراعه الداخلي الذي عانى منه إذ يتأرجح بين كونه أديباً يحاكي القضايا الإنسانية وبين أن يكون عنصراً فاعلاً في المنظومة الاستعمارية، وفي محور علاقته مع ماثينا فإنه يراها رمزاً لمعاناة السكان الأصليين تحت وطأة الاستعمار محاولاً استخدامها كأداة لروايته "قضى ديكنز أكثر حياته معتقداً أن الخضوع للرغبات يُعد دليلاً على البربرية" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٢٣٠) هذه حقيقة الرؤية الاستعمارية للرغبات وديكنز كان يحاول أن يوجه رغباته بشكل صارم للمحافظة على التوازن الثقافي، وماثينا بطبيعتها الحرة كانت تمثل هذه الرغبات لذا عدوها بربرية، ولكن ديكنز أدرك أخيراً أن الصراع بين الرغبة والاستعمار ليس سهلاً وأن الرغبات الإنسانية

تموت بموت الإنسان فقط لا بالقسر" أدرك يدكنز أخيراً أنه لا يستطيع تجاهل الرغبة بعد الآن، فهي جزء لا مفر منه من الطبيعة الإنسانية" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٢٣٠) إذ يكشف أن الرغبة فطرية وليست بربرية .

هذه الشخصيات مثلت تجسيدا للصراعات التي تواجه الأفراد في عالم الاستعمار، وهي أدوات رئيسة في استكشاف قضايا ثقافية ولاسيما ما يتعلق منها بالرغبة والهوية والثقافة من جهة، والتمدد الاستعماري من جهة أخرى الأمر الذي يبرز التوترات الداخلية في مفهوم الهوية الثقافية والرغبة .

#### ثانياً: الحوار في الرواية:

يُعد الحوار في رواية الرغبة آلية أساسية وفاعلة في تسليط الضوء على الصراعات التي تعيشها الشخصيات، فمن خلاله يبني الكاتب هيكل الصراع بين الرغبة والتمدد، كما يمثل الحوار وسيلة لفهم العلاقات والتفاعلات بين الشخصيات مما يساهم في إبراز التوترات الجوهرية التي تحيط بمفهوم الهوية والرغبة .

القارئ للرواية يجد أن الكاتب اعتمد فيها أسلوباً سردياً معاصراً تتأغم مع رؤية ميخائيل باختين في مفهوم التعددية الصوتية، إذ يشدد باختين على وقوف الكاتب على بُعد مسافة متساوية من كل الايديولوجيات المطروحة في العمل "وأن النص الأدبي يحتوي على أكثر من صوت ولكل صوت رؤيته الخاصة وهذا ما يسميه باختين تكسير التعبير عن نوايا الكاتب" (باختين، ١٩٨٧، صفحة ٧١، ٩٥) هذا يفسح المجال للتفاعل الحوارية لجميع الشخصيات من دون سيطرة لصوت واحد على حساب الأصوات الأخرى .

تمكن الكاتب من توظيف الحوار كأداة لعكس صورة الصراع الثقافي والاجتماعي والنفسي ضمن سياق استراتيجية سردية عززت من بناء الشخصيات وكشف أبعادها للقارئ.

#### الحوار والصدام الثقافي:

يُعد الحوار في العمل القصصي أكثر من مجرد أداة لنقل الأحداث أو تطوير الشخصيات، فهو مساحة لممارسة أشكال متعددة من الصدام الثقافي، إذ فيه تتجلى اختلاف الهويات والقيم والخلفيات الفكرية للشخصيات، الأمر الذي يؤدي إلى إثراء البناء السردية وعكس التوترات الاجتماعية والثقافية الكامنة، يُبرز النص القصصي عن طريق الحوار تلك المواجهات الرمزية بين الشخصيات، التي قد تعكس صراعات أعمق بين ثقافات متباينة أو رؤى متضاربة على أرض الواقع.

يمتد تأثير الحوار ليشمل تشكيل الهوية الفردية والجماعية داخل النص، إذ يعمل كأداة لتمثيل تعددية الأصوات التي تتيح مساحة للتعبير عن وجهات النظر المختلفة ما يجعل الفضاء السردي مساحة للتفاعل بين الذات والآخر ليكون الحوار مؤشراً على البعد الحوارى الداخلي الخاص بالنص لتفاعله بين أنماط مختلفة من الثقافات .

يُسلط هذا المبحث الضوء على دور الحوار في إدارة الصدام الثقافى في رواية الرغبة التي تعكس وبشكل واضح تناقضات المجتمعين المستعمر والمستعمر والتباين الثقافى بينهما، كما يهدف المبحث إلى توضيح آلية استخدام الحوار لإبراز التقاطعات بين الشخصيات التي مثلت أطراف المشهد السردى في الرواية .

يقسم الحوار في النص السردى على قسمين يعكسان آليات التواصل والتفاعل الثقافى بين الشخصيات، النوع الأول هو الحوار الخارجى Dialogue، إذ يُسمع صوت كل الشخصيات المتحاوره في إطار تبادل الأفكار والمواقف، ويُظهر هذا النوع كيفية تشكيل العلاقات والصراعات والتباينات الثقافية. أما القسم الثانى من الحوار فهو الحوار الداخلى Monologue، وهو حديث الذات مع النفس، هذا الحوار أداة للكشف عن التوترات والصراعات الداخلية للشخصيات (كاظم، ٢٠٠٤)، وفي رواية الرغبة فأن الحوار سواء الخارجى منه أو الداخلى يتخذ بُعداً انعكاسياً للتوترات الثقافية الاستعمارية، ويظهر أشد ما يكون في العلاقة بين الشخصيات الاستعمارية مثل السير جون فرانكلين وزوجته جين من جهة وشخصية ماثينا من جهة أخرى.

#### ١ - الحوار الخارجى Dialogue:

خطاب السلطة والاستعمار مثل الحوار الخارجى في الرواية تجسيدا لبنية الهيمنة والسلطة الاستعمارية، حيث يستخدم كأداة خطابية لفرض السلطة على الشخصيات التي تمثل الشعب الأصلى، إذ تعكس هذه الأداة تفوق المستعمر على المستعمر "سيكون من الأفضل لها أن تتعلم لغتنا بينما كانت ماثينا تسمع بصمت إنها مجرد طفلة أجابت جين بفتور" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١٠٠). تتمثل هنا الهيمنة الثقافية، إذ إن تعليم اللغة أداة لاستيعاب الشعوب ضمن البنية الاستعمارية، وتتجلى بنية الخطاب الاستعماري في قول تشارلز ديكنز مخاطباً السيدة جين "نحن ندرك أن كل بربرى سيكون جشعاً وخائناً وقاسياً" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٤٤)، هذه الجملة مثلت نظرة نمطية مشوهة للسكان الأصليين، إذ إنها تصورهم ككيان يفتقر إلى القيم الأخلاقية التي يدعى المستعمر أنه يمتلكها، كما تكشف الجملة عن استخدام المستعمر لآلية الحوار الأحادي الطرف الذي يميز النصوص الاستعمارية، فللمستعمر الحق

في التوصيف وتقديم رؤيته الخاصة به، وهذا ما يُحرم منه المستعمر الأمر الذي يؤدي إلى إعادة إنتاج علاقة القوة داخل النصوص الأدبية فالحوار الخارجي هو وسيلة للهيمنة لا للتواصل، وحوار السيد جون والسيدة جين كان يركز على فرض سلطة الاستعلاء بحجة تفوقها الثقافي والمعرفي "إن النصوص المقدسة تتفق معي، فالمسافة بين البربرية والتمدن تقاس بدرجة سيطرتنا على رغباتنا الأولية والطريق الذي يتم قطعه نحو الحضارة هو التنوير الثقافي" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١٢١).

هنا تتجلى آلية تفعيل النصوص العينية والمقدسة كأداة للشرعنة في سياق الاستعمار الثقافي، إذ يصاغ الحوار بوصفه انعكاساً لتصورات المهيمن التي تضع الشعوب الأصلية في خانة البربرية بينما يُنظر إلى المستعمر على أنه حامل رسالة التنوير ومبرراً لمحاولات طمس الثقافة والهوية الأصلية واستبدالها بهوية استعمارية مفروضة، ومن جهة أخرى فإن كلام السيدة جين يكشف بُعداً جديداً على اعتبار أن التمدن عملية تقاس بمدى السيطرة على الرغبات الأولية مما يجعل الشعوب الأصلية غير مكتملة النضج وبحاجة إلى التهذيب وإعادة التشكيل الروحي والنفسي.

مثل الحوار الخارجي أداة فاعلة في بناء العلاقات بين الشخصيات مظهرًا التوترات بينها مما يسهم في تطوير الحبكة وكشف طبيعة العلاقات بين الشخصيات مع إبراز أبعادها ودوافعها بوضوح .

## ٢ - الحوار الداخلي Monologue:

لغة الحوار الداخلي عادة تكون لغة خاصة بالشخصية وهي تتحدث عنها بكل صراحة كاشفة لكل الخبايا لأنها أفضل آلية لتمثيل الحوار مع النفس بكل شفافية فيمثل المحتوى النفسي والعمليات النفسية في المستويات المختلفة للانضباط الواعي ولا يلجأ الكاتب إلى تعديل كلام الشخصية، فلا يضيف عليها أية صبغة أدبية أو فنية وإنما يتركه على صورته الخاصة به "فهو نمط من الحوار يمثل عدم الاهتمام بتدخل المؤلف وعدم افتراض أن هناك سامعاً" (همفري، ١٩٧٥، صفحة ٤٤)، فيكون الحوار الداخلي أداة فعالة في الرواية لكشف الصراعات النفسية المرتبطة بالهوية أو الشعور بالاغتراب.

يستخدم السيد جون فرانكلين الحوار الداخلي للكشف عن تناقضاته بين رغبتيه في الالتزام بمثالية الحضارة الأوروبية وبين مشاعره تجاه السكان الأصليين "كيف يمكن أن أكون الرجل الذي أعجب به الجميع في انكلترا بينما أشعر بهذا الإحساس الذي يربكني أمامهم" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١٤٥)، يعكس الحوار تقنية المؤلف الداخلي حين يظهر حالة



التمزق والشتات النفسي، والتناقض بين الصورة الاجتماعية والذاتية مما يعبر عن فقدان الاتساق النفسي، وفي حوار ماثينا الداخلي يظهر انعكاس الشعور بالاغتراب في قولها "أنا فتاة صغيرة صالحة، أنا أحب أي، أنا أشكرهم على النوم تعال إلى هنا يا أبي لرؤيتي أرجوك يا أبي عُد إلي، أنا هنا ابنتك المخلصة" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١١٦)، أن عبارة (أنا هنا ابنتك) (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١١٦) توحى بالولاء المطلق لأبيها والذي يمثل موطنها وهويتها وهو يمثل استقرارها العاطفي (أنا أحب أبي) (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١١٦)، هذا يعكس ولاء الطفلة لهويتها عبر قناة حبها لأبيها، وتُعبّر السيدة جين عن التمثيل الاجتماعي والاغتراب النفسي بقولها عن ماثينا "إنها حلية غريبة تُرين خيلاءنا المزيف" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١١٨)، يتضح إحساسها بالزيف وهي ترى في ماثينا جزءاً من اللعبة الاستعمارية الاجتماعية التي تركز على المظاهر إذ ترى السيدة جين أن ماثينا مجرد أداة تمثل الآخر المستعمر لا ينظر لها بأي نوع من التقدير بل أن النظرة الاستعمارية تقلل من قيمة الآخر لأنه مختلف.

مثّل الحوار الداخلي نافذة للغوص في الصراعات النفسية والتأملات الذاتية للشخصيات بما يعزز من فهمنا لأبعاد الهوية والوعي الفردي، مما يجعله أداة أساسية في بناء العمق النفسي للشخصية، عبر كشف التوترات الداخلية وتطور وعيها الذاتي في سياق السرد .

### المبحث الثالث

#### الرمزية

تعد الرمزية من الأدوات التي استعملها الكاتب في الرواية إذ أنها مثلت منهجاً فكرياً وأدبياً واضحاً يُسهّم في تفسير العلاقة بين الشخصيات وأبعادها الثقافية غير المباشرة لتعبر عن القضايا المركزية المثارة في الرواية مثل الهوية والثقافة وتصادم الثقافتين عبر تأطير الرمز إطاراً فلسفياً يُساعد في فهم الأحداث وفهم رؤية الفكر للكاتب.

يُعرف الرمز بأنه إشارة أو إماءة بالعينين والحاجبين والشفقتين (ابن منظور، ١٩٩٤، مادة ر م ز)، فهو تعبير حركي يكشف ما في النفس من أفكار.

أما تعريف الرمزية اصطلاحاً فهي "فن التعبير عن الأفكار والعواطف، ليس بوصفها مباشرة ولكن بالتلميح وإعادة خلقها في ذهن القارئ من خلال استخدام رموز غير مشروحة" (تشادويك، ١٩٩٢، الصفحات ٤١-٤٢).

هذه الميزة تجعل الرمزية واحدة من أهم أدوات الكاتب الفعالة في طرح الموضوعات الشائكة مثل الهوية والثقافة، إذ تكون الرمزية وسيلة لفهم المعنى الأعظم في النص. وظف الكاتب الموروث الشعبي للشعب التاسماني في تصوير السن الذي يمثل مرحلة انتقال بين الطفولة والشباب مما يجعل الموت في هذه السن غير مألوف وصادم .

ونبدأ في محاكاة الرموز في الرواية من العنوان، إذ يُعد عنوان (الرغبة) رمزاً ومفتاحاً للكشف عن الكثير من الدلالات المتشابهة في الرواية ثم إنه يلخص أكثر التوترات سواء على المستوى النفسي للشخصية الواحدة أو على مستوى الشخصيات المتعددة في الرواية .

إنّ توظيف عنوان الرواية (الرغبة) كرمز يُمكن أن تتم قراءته من عدة زوايا وكما يأتي:

١- الرغبة بوصفها دافعاً إنسانياً سواء كان في الحب أم الحرية أو الهيمنة، فمثلاً السير جون فرانكلين تجلت رغبته في الهيمنة وبسط النفوذ الاستعماري، أما زوجته السيدة جين فرانكلين فتتمثل رغبته في الحب والقبول والطفلة ماثينا تمثلت رغبته بالاحتفاظ بهويتها وحرية الحياة، وديكنز تمثلت رغبته بأن يحقق مجده ككاتب عظيم لكل الأجيال، كما أشار العنوان إلى رغبة الاستعمار في إعادة تشكيل العوالم وفق رؤيته وفرض القيم والمعايير الاستعمارية على الشعوب الأخرى، ومن ناحية أخرى أشار العنوان إلى رغبة السكان الأصليين في الحفاظ على هويتهم الثقافية الأصلية .

٢- الرغبة كرمز للمقاومة إذ يُعبر السكان الأصليون عن رغبته في الاحتفاظ بهويتهم وبأرضهم "أنا لست بربرية ولا عبدة" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٢٣٣)، الرغبة في التمسك بالهوية والجذور هي رمز للمقاومة الصامتة ضد الهيمنة الاستعمارية .

يتجلى البعد الرمزي لمصير ماثينا "اقتربت من المنزل صاحب الرقم ١٧، توقفت ماثينا وهي تحديق في السماء رأّت نذير الشؤم الذي يخشاه المحليون، رأّت البجعة السوداء وهي ترفرف نزولاً..." (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ١٥).

ولو علمنا أن ماثينا ماتت وهي في سن السابع عشرة من عمرها "حلقت بجعة سوداء في عنان السماء ... كانت تبلغ السابعة عشرة من العمر ... حمل جثتها" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٢٣٩)، فالنص يحمل شبكة من الرموز تلتقي لتشكل رؤية لمصير ماثينا، فرمزية العدد ١٧ يظهر كمحور زمني، إذ إن موتها كان في عمر السابعة عشرة، والبجعة السوداء استخدمت كنذير شؤونهم وقوة غيبية تتحكم بالمصائر، والسماء مثلت البعد الميتافيزيقي إذ

التقت نظرات ماثينا بالبجعة السوداء في إشارة إلى مواجهة قدرها المحتوم، عكس النص تشابكاً بين الموروث الشعبي وبين حتمية قدر ماثينا بالموت، إذ أرسل الموت إشارات ورسائل عبر العناصر الموجودة في محيط ماثينا مما يعكس رؤية أدبية تتجاوز الحدث إلى فضاء رمزي أعمق دلالة، وفي سياق آخر وظف الكاتب الرموز الأدبية كأداة فاعلة في بنائه النصي، إذ لجأ إلى استحضار شخصية (تشارلز ديكنز)<sup>(١)</sup>، والذي يُعد من أكبر النقاد الاجتماعيين في العصر الفيكتوري، إذ مزج بين الحكاية الإنسانية والطرح النقدي وجود ديكنز في الرواية يُقرأ كرمز للثقافة الانكليزية المتحضرة التي ادعت انكلترا وأوروبا امتلاكها في أثناء الحملات الاستعمارية، غير أنه في الرواية نجد اهتمام ديكنز بالمهمشين سقط تماماً في عالم الاستعمار "أنا أقل الأشخاص إيماناً بنبل هؤلاء البرابرة... المسافة الفاصلة بين التمدن والوحشية هي الطريق الذي قطعناه بين الرغبة والعقل" (فلاناغان، ٢٠١٨، صفحة ٣٢ بتصرف)، هنا يتعامل ديكنز مع الشعوب الأصلية بوصفها الأقل شأنًا، وهو جزء من المنظومة الاستعمارية وما المثالية الفيكتورية التي نادى بها ديكنز في مجتمعه الإنكليزي إلا أداة انتجت تناقضات في مجتمع الاستعمار إذ كانت تبرر لإقصاء الآخر بفعل السلطة والهيمنة يُخلق هنا رمز لطرح سؤال حول معنى الإنسانية في مجتمع الاستعمار، فخاطب التعاطف ونشر القيم الإنسانية في العدل والمساواة تحول إلى خطاب قسوة واستغلال في المجتمع الاستعماري، ومن الأشياء التي استعملها الكاتب كرمز في الرواية هو المدفن، فهو أحد الرموز البارزة لتجسيد الصدام الثقافي بين السكان الأصليين والمستعمرين، كما أنه مثّل أداة هامة استعملها المستعمر لمحو هوية السكان الأصليين وفرض الهيمنة، فالسكان الأصليين يُعدون الأرض مكاناً مقدساً وهي جزء من دورة الحياة حتى وأن كانت مدفناً، أما من نظر المستعمر فإنها تمثل مشروع بناء يهدف لإعادة تشكيل الأرض الذي يعزز من محو ممنهج ومدرّس للثقافة الأصلية يظهر هذا الأمر بوضوح عندما أصر الوصي على اتمام المدفن قبل زيارة جون فرانكلين وزوجته "قضى الوصي وقته في انجاز الخطط لأجل مقبرة جديدة أوسع كي تتماشى مع نسبة الوفيات في المستوطنة ... عقد العزم على إنهاء أرض

(١) تشارلز ديكنز: روائي إنكليزي من أعظم أدباء العصر الفيكتوري، رواياته مرآة تعكس أزمات المجتمع

الفيكتوري. ويكيبيديا <https://foulabook.com/ar/author>

المدفن في وقت زيارة محافظ فانديمون السيد جون فرانكلين وزوجته ... السيد جون رجل ذا مشاريع متعددة منها استكشاف البر، إنشاء مجمعات مبنية على أسس علمية، جمع القواقع" (فلاناغان، ٢٠١٨، الصفحات ١٩-٢٠ بتصرف)، إنه ليس مجرد مدفن بل إنه رمز لتحويل الأرض إلى أداة لإثبات السيطرة الأوروبية على الفضاء الجغرافي للسكان الأصليين، والتزامن بين انجاز المدفن وزيارة المحافظ وزوجته ما هو إلا إشارة لإظهار نجاح المستعمر في انجاز مشاريعه وطمس للعلاقة المقدسة بين السكان الأصليين وأرضهم ولتكتمل هذه الرمزية أوجد الكاتب شخصية (الملك روميو) الذي لاقى مصرعه على يد الوصي لأنه لم يتمكن من انقاذه بسبب جهله وعدم قدرته على معالجة المصابين بشكل صحيح، ولأن الملك روميو هو والد ماثينا فهو يمثل تاريخ وثقافة كاملين ضاعا بفعل تهور المستعمر في محاولة علاجه، "قام الوصي بشق رسغ الملك روميو... تدفق الدم كينبوع حار كان الرجل الأسود يأن بشكل متقطع، أعجب الوصي بثباته، وكان علاجه بلا جدوى وأن النزف غير ذي فائدة، رغب الوصي بأن يؤذي الملك روميو لأن مرضه غير قابل للعلاج" (فلاناغان، ٢٠١٨، الصفحات ١٦-١٧ بتصرف)، مثّل الوصي المستعمر الذي يتدخل في حياة الآخرين من دون فهم ووعي حقيقي لخطورة التدخل وتغيير الواقع الاجتماعي، وما محاولته الفاشلة لإنقاذ الملك روميو إلا رمز لتدمير المستعمر لحياة السكان الأصليين وعدم القدرة على تحسين ما هو أصيل.

أما شخصية الملك روميو فهي رمز يُشير إلى المقاومة ورغبة الوصي في القضاء عليه هي رغبة المستعمر في القضاء على المقاومة لأن صموده يهدد النظام الاستعماري الذي يهدف إلى محو الهوية الأصلية.

تمكن الكاتب من جعل الرمزية مرآة عاكسة لجوهر الصراع بين الطبيعة والتمدن القسري وأن مشروع الاستعمار لطمس هوية السكان الأصليين في مقابل نشر تدميرهم هو مشروع فاشل .

#### الخاتمة:

رواية الرغبة لريتشارد فلاناغان نموذجاً أدبياً بناءه السردى معقد، إذ سلط الضوء على مسألة الصدام الثقافي وهي مسألة جوهرية تجلت مع ظهور النظام الاستعماري . عكست

الرواية التوترات بين الشخصيات والطبيعة والسلطة مما يبرز معاناة الأفراد في ظل قوى أقوى منهم وخاتمة ما جاء في البحث يتلخص في النقاط الآتية:

١- تناولت الرواية مفهوم الصدام الثقافي إذ لم يكن مجرد مواجهة بين مستعمر ومستعمر، بل امتد ليؤثر في الهوية الفردية والجماعية، لاسيما مع شخصية ماثينا التي جسدت فقدان الانتماء في ظل ظرف الاستعمار .

٢- لعبت الشخصيات دوراً محورياً في تجسيد الأفكار المركزية للرواية السير جون مثل المستعمر الذي يتلاعب بالمصائر تحت غطاء التمدين، والسيدة جين جسدت دور المرأة في سياق الاستعمار ومثلت الجانب الثقافي، وتشارلز ديكنز أضاف بُعداً أدبياً ونقدياً.

٣- الحوار لم يكن مجرد وسيلة لنقل الأفكار بل كان يكشف عن التراتبية والسلطوية داخل الرواية مما يعكس موقع كل شخصية في المنظومة الاستعمارية.

٤- الرمزية كشفت عن معانٍ أعمق حيث مثلت الأرض الصراع على الهوية والانتماء، وطائر البجع نذير الشؤوم والسماء فضاء الاستعمار أما رقم المنزل فقد ارتبط بعمر ماثينا ومصيرها المحتوم في ظل الاستعمار .

وهكذا فإن رواية الرغبة كشفت عن رغبة الدول المتنفذة في الهيمنة على الشعوب الأصلية، ورغبة الشخصيات في التحرر أو التكيف مع الواقع المفروض عليها، ورغبة ماثينا في إيجاد هويتها ورغبة تشارلز ديكنز في تأكيد تفوق الشعوب الأوروبية عن طريق النظر إلى الشعوب الأخرى نظرة دونية .

وفي نهاية البحث تجد الباحثة أن الرواية تؤكد على أن الأدب ليس مجرد وسيلة لسرد الحكايات، بل أداة لإعادة قراءة التاريخ، حيث تطرح تساؤلات حول استمرار الصراعات الثقافية في أشكال جديدة اليوم ومدى قدرة الأدب على منح صوت لمن طمس وجودهم، مما يتيح رؤيتهم من منظور جديد .

### المراجع:

١. أحمد مختار عمر. (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة (الطبعة ١). بيروت: عالم الكتب.
٢. ادورد سعيد. (٢٠١٠). الاستشراق (الطبعة ٧). (ترجمة: كمال أبو ديب) مؤسسة الأبحاث العربية.
٣. تشالز تشادويك. (١٩٩٢). الرمزية. (ترجمة: نسيم إبراهيم يوسف) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤. جاك لاكان. (١٩٥٨). الرغبة وتفسيره. تم الاسترداد من موقع ويكيبيديا على منصة كوكل: <https://www.google.com/searchssaesv>
٥. جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفي الأفريقي ابن منظور. (١٩٩٤). لسان العرب (الطبعة ٣). بيروت، لبنان: دار صادر.
٦. جورج طرابيشي. (٢٠١٧). معجم الفلاسفة، الفلاسفة- المناطق- المتكلمون- اللاهوتيون- المتصوفون (الطبعة ٣). بيروت: دار الطليعة.
٧. حسن بحراوي. (٢٠٠٩). بُنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن، الشخصية (الطبعة ١). الدار البيضاء: المركز الثقافي.
٨. روبرت همفري. (١٩٧٥). تيار الوعي في الرواية الحديثة. (ترجمة: محمد الربيعي) دار غريب للطباعة والنشر.
٩. ريتشارد فلاناغان. (٢٠١٨). رواية الرغبة. (ترجمة: حنان المسعودي) منشورات الجمل.
١٠. سعيد علوش. (١٩٨٥). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (الطبعة ١). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
١١. عبد العلي الودغيري. (١٩٩٥). في الثقافة والهوية (الطبعة ١). البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢. عبد الملك مرتاض. (١٩٩٨). في نظرية المعرفة. مجلة عالم المعرفة.
١٣. فيليب هامون. (دون تاريخ). سيمولوجية الشخصيات الروائية (الطبعة ١). (ترجمة: سعيد بنكراد) دار الحوار للنشر والتوزيع.
١٤. مالك ابن نبي. (٢٠٠٠). مشكلة الثقافة (الطبعة ٤). (ترجمة: عبد الصبور شاهين) بيروت: دار الفكر المعاصر.

١٥. مجموعة باحثين. (٢٠٠٥). مفاهيم عالمية ، الهوية (الطبعة ١). (ترجمة: عبد القادر قنيني) المركز الثقافي العربي.
١٦. محمد عابد الجابري. (١٩٨٤). تكوين العقل العربي (الطبعة ١). بيروت: مركز الدراسات للوحدة العربية.
١٧. ميخائيل باختين. (١٩٨٧). الخطاب الروائي (الطبعة ١). (ترجمة: محمد برادة) بيروت: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
١٨. نجم عبد الله كاظم. (٢٠٠٤). مشكلة الحوار في الرواية العربية. الإمارات العربية المتحدة: منشورات اتحاد كتاب وأدباء الامارات.
١٩. ويكيبيديا <https://foulabook.com/ar/author>

### References:

1. Ahmed Mukhtar Omar. (2008). Dictionary of Contemporary Arabic (1st ed.). Beirut: Alam Al-Kutub.
2. Edward Said. (2010). Orientalism (7th ed.). (Translated by: Kamal Abu Deeb) Arab Research Foundation.
3. Charles Chadwick. (1992). Symbolism. (Translated by: Naseem Ibrahim Youssef) Cairo: Egyptian General Book Organization.
4. Jacques Lacan. (1958). Desire and its Interpretation. Retrieved from Wikipedia on Google: <https://www.google.com/searchssaesv>
5. Jamal al-Din Muhammad ibn Makram ibn Ali al-Ansari al-Ruwaifi'i al-Afriqi Ibn Manzur. (1994). Lisan al-Arab (3rd ed.). Beirut, Lebanon: Dar Sadir.
6. George Tarabishi. (2017). Dictionary of Philosophers, Philosophers-Logicians-Theologians-Theologians-Sufis (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Tali'ah.
7. Hassan Bahraoui. (2009). The Structure of the Novel Form: Space, Time, and Character (1st ed.). Casablanca: Cultural Center.

8. Robert Humphrey. (1975). Stream of Consciousness in the Modern Novel. (Translated by: Muhammad Al-Rubaie) Gharib Printing and Publishing House.
9. Richard Flanagan. (2018). The Novel of Desire. (Translated by: Hanan Al-Masoudi) Al-Jamal Publications.
10. Saeed Alloush. (1985). Dictionary of Contemporary Literary Terms (1st ed.). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Lubnani.
11. Abdul Ali Al-Wadghiri. (1995). On Culture and Identity (1st ed.). Al-Boukili for Printing, Publishing and Distribution.
12. Abdul Malik Mortad. (1998). In the Theory of Knowledge. World of Knowledge Magazine.
13. Philip Hamon. (undated). Semiotics of Novelistic Characters (1st ed.). (Translated by: Saeed Benkrad) Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution.
14. Malik ibn Nubi. (2000). The Problem of Culture (4th Edition). (Translated by: Abdul Sabour Shaheen) Beirut: Dar Al Fikr Al Mu'aser.
15. A group of researchers. (2005). Global Concepts, Identity (1st Edition). (Translated by: Abdelkader Qanini) Arab Cultural Center.
16. Muhammad Abed al-Jabri. (1984). The Formation of the Arab Mind (1st ed.). Beirut: Center for Arab Unity Studies.
17. Mikhail Bakhtin. (1987). The Novelistic Discourse (1st ed.). (Translated by: Muhammad Barada) Beirut: Dar Al-Fikr for Studies, Publishing and Distribution.
18. Najm Abdullah Kazim. (2004). The Problem of Dialogue in the Arabic Novel. United Arab Emirates: Publications of the Emirates Writers and Authors Union.
19. <https://foulabook.com/ar/author>